جامعة الأزهر الشريف
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الثقافة الإسلامية

رِعَايـةُ المشَاعِـرِ فِي الإسْـلام

الأستاذ الدكتور: أحمد ربيع يوسف
أستاذ وئيس قسم الثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

ملخص البحث:

إنّ مِن صالِح الأخلاق ومكارِمها التي علّمنا الإسلام إيَّاها: «رعاية المشاعر الإنسانية»؛ فلا يخدش المسلمُ أحاسيس الآخرين، ولا يريق ماء وجوههم؛ انتصارًا لنفسِه، كما أنّ هذا الخلق يجعل المسلم منصرفًا عن الإساءة للناس بأيّ نوع من أنواع الإساءات.

وجاء هذا البحث ليتناول هذا السمت الإنساني، الإسلامي: (رعاية المشاعر في الإسلام)، في عدة نقاط:

بدأ البحث بالحديث عن رعاية المشاعر في المحيط الأسريّ، فتحدث عن رعاية مشاعر الوالدين، والأزواج الأبناء، ثم مشاعر أولي القربى.

ثم تناول البحث رعاية المشاعر في المحيط المجتمعي، فتناول رعاية مشاعر الجيران، لا سيّما المحتاجين منهم، ثم رعاية مشاعر الضعفاء، ثم رعاية المشاعر مع غير المسلمين، ثم رعاية المشاعر مع أصحاب الهدايا، وكذلك رعاية المشاعر مع الخصوم، ورعاية المشاعر في المزاح، والختام برعاية المشاعر عند التعامل مع المخطئين.

الكلمات الدالة:

رعاية–المشاعر

المقدمـة

الحمد لله رب العالمن والصلاة والسلام الآتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد..،

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على كثير ممن خلق، وجاءت تشريعات الإسلام محافظة على هذا الإنسان بكل جوانب حياته، وضمنت له حفظ نفسه ودينه وعقله وماله وعرضه، وسنت له من التشريعات ما من شأنه حفظها، كما سنت عقوبات رادعة لكل من يعتدي عليها.

ومن عظمة التشريع الإسلامي أنه لم يحافظ على الإنسان كجسد أوبنيان فقط، وإنما جاءت تشريعاته لحفظ مشاعره وأحاسيسه، جاءت للإنسان كإنسان حتى ولو كان لا يدين بالإسلام. وذلك لأن الإسلام رحمة للناس جميعا كما بين الله سبحانه الغاية من إرسال النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

ولقد لخّص النبي الحبيب –صلى الله عليه وسلّم– رسالته ودعوته في قوله: يقول فيها: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(١). وفي رواية الإمام مالك –رحمه الله–: «**بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاقْ**»(٢)...

وإنّ مِن صالِح الأخلاق ومكارِمها التي علّمنا الإسلام إيَّاها: «رعاية المشاعر الإنسانية»؛ فلا يخدش المسلمُ أحاسيس الآخرين، ولا يريق ماء وجوههم؛ انتصارًا لنفسِه، كما أنّ هذا الخلق يجعل المسلم منصرفًا عن الإساءة للناس بأيّ نوع من أنواع الإساءات.

بل لقد وصلَ اهتمام الإسلامِ برعاية المشاعر إلى درجة أنه يحذِّر الجار من إيذاء نفسيّة جاره برائحة طعامه، الذي قد لا يكون موجودًا لدى جارِه؛ فلربما يكون فقيرًا أو مسكينًا لا يجد ما يأتي به مثله لأبنائه وبناته.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المُسْنَد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (٨٩٥٢)، ج١٤، ص٥١٣، وقال عنه شعيب في التحقيق: "صحيح، وهذا إسناد قوي". [انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان].

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ برواية أبي مصعب الزهري المدني، حديث رقم (١٨٨٥)، باب: ما جاء في حسن الخلق، ج٢، ص٧٥، تحقيق وتعليق: د. بشار عوَّاد معروف، ومحمود محمد خليل، ط٣/ ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة– بيروت، والحديث صحيح، يُنظَر: التمهيد لابن عبدالبر، ج٢٤، ص٣٣٤، تحقيق: سعيد أحمد غراب، ط. ١٤١١هـ= ١٩٩١م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– المغرب.

فالمسلم إنسان حسّاس، صاحب قلب حيّ ينبض بالحب للآخرين، ويمتلئ فؤاده شفقة وإحساسًا بهموم الناس في كل مكان، خاصة أبناء دينه وإسلامه.

ويعد هذا الخلق من الأخلاق التي اندثر جزء كبير منها من حياة المسلمين اليوم، بينما كانت المجتمعات قديمًا تعيش به وتحيا به، كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءً.

وإنّ دمار كثير من العلاقات الإنسانية يبدأ من جفاف المشاعر، وعدم رعايتها وتنميتها؛ وقد وجدنا بيوتًا كثيرة من بيوتات المسلمين دمِّرَت ومزّقت، وتشتت أبناؤها بسبب عدم رعاية المشاعر..

كا أنّ رعاية المشاعر تعدّ جزءً مهمًّا من شخصية أيّ إنسان، ومن فقدها فقد فقد الإنسانية..

وفي عصرنا الحاضر يغفل كثير من الناس عن مراعاة مشاعر الناس وأحاسيسهم، وأصبح الانتصار للذات هو الهدف حتى ولو كان على حساب مشاعر الآخرين.. ومن هنا فقد جاء هذا البحث ليتناول هذا السمت الإنساني، الإسلامي: (رعاية المشاعر في الإسلام)، ويأتي هذا البحث في العناصر التالية:

الفصل الأول: رعاية المشاعر في المحيط الأسريّ

المبحث الأول: رعاية مشاعر الوالدين.

المبحث الثاني: رعاية مشاعر الأزواج.

المبحث الثالث: رعاية مشاعر الأبناء.

المبحث الرابع: رعاية مشاعر أولي القربى.

الفصل الثاني: رعاية المشاعر في المحيط المجتمعي

المبحث الأول: رعاية مشاعر الجيران، لا سيّما المحتاجين منهم.

المبحث الثاني: رعاية مشاعر الضعفاء(١).

المبحث الثالث: رعاية المشاعر مع غير المسلمين.

المبحث الرابع: رعاية المشاعر مع أصحاب الهدايا.

المبحث الخامس: رعاية المشاعر مع الخصوم.

المبحث السادس: رعاية المشاعر في المزاح.

المبحث السابع: رعاية المشاعر عند التعامل مع المخطئين.

ثم تأتي الخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات..

---

(١) ونقصد بالضعفاء هنا: النساء عمومًا، وذوي الاحتياجات الخاصة، وأهل االمصائب من فقر ومرض ومظلمة.

الفصل الأول

رعاية المشاعر في المحيط الأُسَرِيّ

الأسرة المسلمة تقوم على دعامتين تمثلان عنوان الأسرة الصالحة الهنيئة المستقرة، تلك الدعامتان هما المودة والرحمة، وهما تتعلقان بالمشاعر والأحاسيس أكثر من تعلقهما بالبنيان الجسدي، والمودة والرحمة هما الضمانتان للاستقرار وتجنب العواصف التي تزلزل الكيان الأسري في حاضرنا المعاصر، وأول بابٍ يراعي فيه الإنسان مشاعر الآخرين، هو باب الأسرة الصغيرة المحيطة بالإنسان، من أب وأم وزوجة وأبناء..

وقد حفلت الشريعة الإسلامية بكثير من النصوص التي تسهم في قيام المودة والرحمة، ليس بين الأزواج فحسب ولكن بين كل أفراد الأسرة من أباء وأبناء وإخوة وأزواج وذوات القربى وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: رعاية مشاعر الوالدين.

المبحث الثاني: رعاية مشاعر الأزواج.

المبحث الثالث: رعاية مشاعر الأبناء.

المبحث الرابع: رعاية مشاعر أولي القربى

المبحث الأول:

رعاية مشاعر الوالدين

للوالدين مكانة كبيرة في الإسلام، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الإحسان إلى الوالدين وعدم عقوقهما بالأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به في خمسة مواضع من القرآن الكريم في سور البقرة والنساء والأنعام والإسراء ولقمان.

وقد أمر الإسلام الحنيف بمراعاة مشاعر الوالدين قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. ونلحظ تخصيص الآية الكريمة لوقت الكبر –على وجه الخصوص– برعاية مشاعر الوالدين وتطييب خواطرهم، وعدم إيذاء أحاسيسهم ولو بكلمة بسيطة فضلا عن نهرهما وإغلاظ القول لهما خشية وقوع الحزن عليهما ولذا رد النبي رجلا يريد الجهاد لأنه ترك أبواه يبكيان لفراقه.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله ابن عَمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى النبي –صلي الله عليه وسلم– يبايعه، قال: جئت لأبايعَكَ على الهجرة، وتركتُ أبَوَي يَبكيان، قال: «**فارجع إليهما فأَضْحكْهما كما أبكيتَهما**»(١).

ولعل تكرار نداء نبيّ الله إبراهيم –عليه السلام– لأبيه بلفظ (يَا أَبَتِ) كان استدرارًا لمشاعر الأبوة في نفس أبيه. قال الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ [مريم: ٤١ – ٤٥]. ولنا أن ننظر في مدى عناية نبي الله إبراهيم عليه السلام برعاية مشاعر والده أو عمّه –على اختلاف في التفاسير– رغم كفره وعناده له؛ فها هو يكرر نداءه إياه بقوله في أربع مرات (يا أَبَتِ)..

ويحكى عن وهذا سعيد بن جُبير رحمه الله، إمام من أئمة التابعين لدغته عقرب، فأصرت أمه عليه أن يسترقي، ومعلومٌ أن من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عقاب، الذين لا

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، حديث رقم (٦٤٩٠)، ج٦، ص٤٤، ط١/ ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م، دار الحديث، القاهرة– مصر، وقال عنه الشيخ أحمد شاكر في التحقيق: (حديث صحيح).

يسترقون: لا يطلبون الرقية، فلما أصرت أمه، أراد أن يُطيّب خاطرها، فأعطى الراقي يده الأخرى التي لم تُصب بلدغة هذا العقرب، وترك اليد الأخرى، فعل ذلك؛ إرضاءً لأمه، وجبراً لخاطرها، وتطييباً لنفسها، ولم يفعل الأمر الذي كان يتنافى عنده مع كمال التوكل.

المبحث الثاني:

رعاية مشاعر الأزواج

لقد جاءت تشريعات الإسلام حاضّة كلا من الزوجين أن يحترم مشاعر الآخر ويطيب خاطره لتستمر الأسرة في مواجهة الصعاب التي تكتنفها، ومراعاة المشاعر في الحياة الزوجية له مظاهر كثيرة ومتعددة منها:

في الخِطبة نلحظ مدى اهتمام التشريع بالمشاعر، فلا إكراه في الزواج بل لا بد وأن يكون برضا تام لدوام حسن المعاشرة ومن هنا جاء الاستئذان للبكر والاستئمار للثيب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلاَ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ**» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا سَكَتَتْ**»[1] فالاستئذان والاستئمار لمراعاة خاطر البنات، وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم نكاح امرأة زوجها أبوها دون استشارتها فعن خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ: أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ «**فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ نِكَاحَهَا**»[2]

كما حث النبي صلى الله عليه على مشاورة الأمهات في تزويج بناتهن تطييبا لخاطرهن عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ خَطَبَ إِلَى نَسِيبٍ لَهُ ابْنَتَهُ قَالَ: فَكَانَ هَوَى أُمِّ الْمَرْأَةِ فِي ابْنِ عُمَرَ، وَكَانَ هَوَى أَبِيهَا فِي يَتِيمٍ لَهُ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا الْأَبُ يَتِيمَهُ ذَلِكَ، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أْمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ**»[3]قال ابن قدامة: وَيُسْتَحَبُّ اسْتِئْذَانُ الْمَرْأَةِ فِي تَزْوِيجِ ابْنَتِهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ». وَلِأَنَّهَا تُشَارِكُهُ فِي النَّظَرِ لِابْنَتِهَا، وَتَحْصِيلِ الْمُصْلِحَةِ لَهَا، لِشَفَقَتِهَا عَلَيْهَا، وَفِي اسْتِئْذَانِهَا تَطْيِيبُ قَلْبِهَا، وَإِرْضَاءٌ لَهَا فَتَكُونُ أَوْلَى"[4]

وقال الخطابي: مؤامرة الأمهات في بضع البنات ليس من أجل أنهن تملكن من عقد النكاح شيئاً، ولكن من جهة استطابة أنفسهن وحسن العشرة معهن، ولأن ذلك أبقى للصحبة وأدعى إلى الإلفة بين البنات وأزواجهن إذا كان مبدأ العقد برضاء من الأمهات ورغبة منهن، وإذا كان بخلاف ذلك لم يؤمن تضريتهن ووقوع الفساد من قبلهن والبنات إلى الأمهات أميل ولقولهن أقبل، فمن أجل

---

(١) البخاري: كتاب الحيل، باب في النكاح، حديث رقم ٦٩٦٨

(٢) البخاري: كتاب الإكراه، باب لا يجوز نكاح المكره، حديث رقم ٦٩٤٥

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٨ / ٥٠٥): حديث رقم ٤٩٠٥، قال الأرنؤوط : حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه رجلاً مبهماً حدث عنه إسماعيل بن أمية ووثقه، ولهذه القصة طرق أخرى تشدها وتحسنها وتُبين أن لها أصلاً

(٤) ابن قدامة : المغني (٧ / ٤٣): مكتبة القاهرة ١٩٦٨م.

هذه الأمور يستحب مؤامرتهن في العقد على بناتهن . وقد يحتمل أن يكون ذلك لعلة أخرى غير ما ذكرناه، وذلك أن المرأة ربما علمت من خاص أمر ابنتها ومن سر حديثها أمراً لا يستصلح لها معه عقد النكاح، وذلك مثل العلة تكون بها، والآفة تمنع من إيفاء حقوق النكاح وعلى نحو هذا يتأول قوله ولا تزوج البكر إلاّ بإذنها وإذنها سكوتها، وذلك أنها قد تستحي من أن تفصح بالإذن وأن تظهر الرغبة في النكاح فيستدل بسكوتها على سلامتها من آفة تمنع الجماع، أو بسبب لا يصلح معه النكاح لا يعلمه غيرها(١)

قال ابن الأثير: هو من جهة استطابة أنفسهن، وهو أدعى للألفة، وخوفا من وقوع الوحشة بينهما إذا لم يكن برضا الأم، إذ البنات إلى الأمهات أميل، وفي سماع قولهن أرغب؛ ولأن الأم ربما علمت من حال بنتها الخافي عن أبيها أمرا لا يصلح معه النكاح، من علة تكون بها أو سبب يمنع من وفاء حقوق النكاح(٢)

كما أمر التشريع بالمحافظة على مشاعر الرجل بعدم الاعتداء على خطبته لأنه غالبا ما تسبق الخطوبة مشاعر دافعة للزواج فعن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ يَقُولُ: «**نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الخَاطِبُ**»(٣) وذلك حفاظا على قلب الفتاة من الشتات التي ينتابها ويوزع مشاعرها بين خاطب ربطت مستقبلها معه، وسراب كالحلم المتطاير في جو غير مأمون العواقب(٤)

وكذلك فهو مراعاة لمشاعر الخاطب الأول فقد اندفع بمشاعره نحو فتاة معينة ورفضه وتفضيل آخر عليه سيصيبه بهزة في مشاعره وأحاسيسه وفي المقابل حرم الإسلام حفاظا على كيان الأسرة، واحتراما لمشاعر الزوجة أن تستغل المرأة بعض مزاياها الخاصة لتطلق امرأة أخرى لتحل محلها ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»(٥)

---

(١) الخطابي : معالم السنن شرح سنن أبي داود ٢٠٤/٣ المطبعة العلمية حلب ١٩٣٢م

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٦٦ المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م

(٣) البخاري : كتاب النكاح باب لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع حديث رقم ٥١٤٥

(٤) د/ رءوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ص ١٧٩ دار القلم الكويت ١٩٨٣م

(٥) البخاري : كتاب النكاح باب الشروط التي لا تحل في النكاح حديث رقم ٥١٥٢

ليست المسألة إشباع عاطفة، وإنما هي مسألة ود وسكن، وتفاوت النساء فتنة للنساء كما هو فتنة للرجال، ومن أجل الحفاظ على مشاعر المرأة وسلامة استقرار الأسرة، فقد حرم الإسلام أن تستغل امرأة بعض مميزاتها الي وهبها الله لتحل محل أخت لها بعض أن تطلقها من زوجها[١]

المهر الذي شرعه الإسلام عطية خالصة للمرأة هو لتطييب خاطرها . تنازل المرأة عن جزء من مهرها لزوجها اشترط الإسلام أن يكون عن طيب نفس من الزوجة {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} النساء: ٤

وفي الزواج الزوج يراعي مشاعر زوجته فلا يجرح مشاعرها بدخوله المفاجيء عليها روى البخاري من حديث جابر قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: «أَمْهِلُوا، حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا – أَيْ عِشَاءً – لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ»[٢] وهكذا يضمن الإسلام للمرأة حياة طبيعية في الحفاظ على مشاعرها واستمرار وجودها على المستوى النقي الصافي في مشاعر زوجها فلم يسمح له أن يفاجئها أو أن تنكشف له بعض هناتها عندما تترك زينتها لغيابه . فيا ربما بقي في عصب مشاعره منظر كئيب قد يعكر على حديقة الحب مثلما تعكر سحابة الربيع جنة الأحباب بغيمها الداكن[٣]

والزوجة تراعي مشاعر زوجها فتستأذنه في صوم النفل وكذلك لا تسمح بدخول أحد للبيت الابإذنه روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ»[٤] وليست العلة من أجل الغريزة فحسب، وإنما لتطييب خاطر الزوج وإرضاء نفسه

وكذلك جاء نهي المرأة أن تصف المرأة صاحبتها لزوجها لئلا تؤذي مشاعره عندما يعقد مقارنة بينهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُبَاشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»[٥] وكذلك احترام مشاعر الزوج في غيرته على زوجته

وفي تأديب الزوجة الناشز نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب الوجه فعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا

---

(١) د/ رءوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ص ١٧٧

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب تستحد المغيبة وتمتشط العثة حديث رقم ٥٢٤٧

(٣) د/ رءوف شلبي الدعوة الإسلامية في عهدها المكي / ١٨٤

(٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب لا تأذن الزوجة لأحد في بيت زوجها إلا بإذنه حديث رقم ٥١٩٥

(٥) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها حديث رقم ٥٣٤٠

طَعِمَ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»[١] لا لأنه موضح المحاسن فحسب، ولكن لأن فيه إهانة وذل، وجلسات المصالحات العرفية تغلظ العقوبة في الضرب على الوجه لما فيه من إهانة. كما نلحظ معنى عظيما فيما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ»[٢] قال الحافظ ابن حجر : أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة والمجلود غالبا ينفر ممن جلده فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك وأنه إن كان ولا بد فليكن التأديب بالضرب اليسير بحيث لا يحصل منه النفور التام. [٣] ولأن حدوث المجامعة بعد الضرب –خاصة أنه لا يجوز لها أن تمتنع– فيه إيذاء لمشاعرها، فالحديث دال على قبح اجتماع هذين الأمرين: الظلم، وطلب الاستمتاع؛ فإن الظلم والأذى يوجبان التنافر والبغضاء، والجماع والاستمتاع أنما يكونان مع ميل النفس وداعي الرغبة في المعاشرة.

وفي وقت التطليق قبل الدخول شرع الله سبحانه لمثل هذه المطلقة تعويضا عن الضرر الذي لحق بها تطييبا لخاطرها وإرضاءا لمشاعرها وقد جعل الله هذا العوض بالمعروف وترك تقديره ليكون حسب حالة الزوج يسارا وإعسارا وطالب الرجل ان يتخلق في هذا الأمر بأخلاق المحسنين **{لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ}** البقرة: ٢٣٦ كما شرع الله سبحانه نصف المهرللمطلقة قبل الدخول {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} البقرة: ٢٣٧ والذي يلاحظ في هذه الآية هو الإطناب في جعل الحكم ينفذ بطريق السماحة والندى والمعروف فيجعل نصف المهر حقا، ثم يستثني من ذلك الحكم عفوا من أي من صاحب الحق أو صاحب عقدة النكاح، ثم يدعو للعفو بجعله أقرب إلى التقوى، ثم ينبه إلى عدم نسيان المعروف[٤]

وفي فطام الرضيع قبل الحولين في حالة الطلاق شرع الإسلام الرضا والتشاور بين الزوجين تطييبا للنفوس **{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا}** البقرة: ٢٣٣ فمصلحة

---

(١) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ٢٠٤/٢ وقال صحيح ووافقه الذهبي

(٢) البخاري : كتاب النكاح باب ما يكره من ضرب النساء حديث رقم ٥٢٠٤

(٣) ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٠٣/٩

(٤) د/رءوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدها لمدني ص٢٠٣

الوليد لابد وأن تكون عن طيب خاطر بين الأب والأم وهذا لا يكون إلا في جو فيه الرضا والتشاور تطييبا للنفوس.

وفي عدة المتوفى عنها زوجها جاء التشرع الإسلامي واقعيا يحترم المشاعر إلى أبعد حد، فإذا كانت الزوجة التي توفي عنها زوجها ذات جاه في المجتمع، ويعيبها أن تخرج من بيت زوجها بعد فترة قصيرة، أو أن مشاعرها الحزينة لفراق زوجها لا تساعدها على الخروج إلا بعد فترة من الزمن فقد حدد الله لمثل هذه الزوجة عدة خاصة . عاما كاملا ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

ولم يجعله أمرا لازما فقد تتغير الأحوال والملابسات فجعل ذلك متوقفا على ارادتها، وعندئذ فلا بد لها أن تبلغ الحد الأدنى من العدة بالنسبة للحكم العام يقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ... فالآية توجيه وخطاب إلى كل زوج يرى أن زوجته سوف تحتاج إلى مدة أطول من العدة المقررة فأباح له أن يوصي لها بمتاع لمدة عام بشرط أن تلتزم الزوجة بهذا الحداد لمدة عام لا تخرج من بيتها، فإن خرجت بعد أربعة أشهر وعشرة أيام فلا جناح عليها فقد بلغت الحد المحدود للعدة الواجبة على المرأة شرعا، أما هذه العدة الخاصة فأساس تشريعها هو محض اختيار من الزوجة، فهناك بعض الحاجات لبعض سيدات تكون حالتهن أقرب إلى العزوبة منها إلى الزواج، وتحتاج في بعض الأحايين إلى مدة أطول لتعبر عن صدق مشاعرها وكريم وفائها نحو زوجها، أو للحنين لرعاية أولادها، ولهذا كانت الوصية إلى الحول إذا أرادت المرأة ذلك.

قال العلامة ابن كثير: هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخا بالأربعة الأشهر وعشرا، وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا إن اخترن ذلك ولهذا قال: ﴿ **وصية لأزواجهم** ﴾ أي: يوصيكم الله بهن وصية كقوله: ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ الآية [النساء:١١] وقال: ﴿ **وصية من الله** ﴾[(١)].

ويقول الشيخ السعدي: ومن تأمل الآيتين، اتضح له أن القول الآخر في الآية هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشرا على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولا كاملا، جبرا لخاطرها، وبرا بميتهم، ولهذا

(١) تفسير ابن كثير ١/٦٥٩.

قال: {وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ} أي: وصية من الله لأهل الميت، أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها[1].

ويقول الدكتور رءوف شلبي: وليس بين الآيتين تناسخ، فالآية الأولى توجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ليال،والآية الثانية تجيز وتبيح للزوجة أن تمكث في بيت زوجها عاما مع حقها في متاع يكفيها.[2]

(١) تفسير السعدي ١/ ٩٥١
(٢) د رءوف شلبى : الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ص ٢٠٤ : ٢٠٧ بتصرف دار القلم – الكويت ١٩٨٣م.

المبحث الثالث:

مراعاة مشاعر الأبناء

من أجل بناء اجتماعي يجمع كل الأسرة على الحب والود شرع الإسلام العدل بين الأولاد أخرج البخاري عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» ، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ» ، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[١]

وعند ابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النَّحْلِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ واللطف"[٢]

قال الإمام البغوي معلقا على حديث النعمان بن بشير : وفي هذا الحديث فوائد، منها: استحباب التسوية بين الأولاد في النحل وفي غيرها من أنواع البر حتى في القبل، ذكورا كانوا أو إناثا، حتى لا يعرض في قلب المفضول ما يمنعه من بره. [٣] فالعدل بين الأولاد في العطية يمنع العداوة بينهم ويطيب خواطرهم ويجعلهم إخوة متحابين. عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَضَمَّهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ جَاءَتْهُ ابْنَةٌ لَهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَأَجْلَسَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ عَدَلْتَ كَانَ خَيْرًا لَكَ قَارِبُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ وَلَوْ فِي الْقُبَلِ»[٤] وذلك مراعاة لمشاعر الأبناء لتكون قلوبهم قائمة على الحب والود والرعاية والعناية، ودرءًا للكراهية فيما بينهم.

وكذلك نلحظ مراعاة مشاعر الأبناء نحو الأباء فلا يُسب الأباء أمام أبنائهم مهما كان جرمهم حفاظا على مشاعر أبنائهم قالت أم سلمة: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شكا إليه عكرمة أنه إذا مر بالمدينة قيل له: هذا ابن عدو الله أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال: «إن الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لا تؤذوا مسلما بكافر»[٥]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب االهبة باب الإشهاد في الهبة حديث رقم ٢٥٨٧

(٢) صحيح ابن حبان ٥٠٣/١١ حديث رقم ٥١٠٤ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨م

(٣) البغوي : شرح السنة ٢٩٧٠/٨ المكتب الإسلامي دمشق بيروت ١٩٨٣م

(٤) الصنعاني : المصنف ٩٩/٩ حديث رقم ١٦٥٠١ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ

(٥) مستدرك الحاكم حديث رقم ٥٦١

وعند ابن عساكر: فلما دنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة قال رسول الله لأصحابه يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا تبلغ الميت[١]

وموقف البي صلى الله عليه وسلم من ابن سلول وتكفينه بثوبه والصلاة عليه ما كا الاتطييبا لخاطر ولده

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما خيرني الله فقال: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة} [التوبة: ٨٠]، وسأزيده على السبعين " قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره}[٢]

إنه موقف أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية مشاعر عبد الله الإبن وذلك لموقفه من أبيه رغم حبه له فعن أبي هريرة، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ابن سلول وهو في ظل أجمة، فقال: قد غبر علينا ابن أبي كبشة، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب، لئن شئت لآتينك برأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته»[٣]

ولعبد الله رضي الله عه موقف آخر زكره أصحاب السيرة بعد قول أبيه ليخرجن الأعز منها الأذل قالوا:

لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق تقدّم عبد الله بن عبد الله بن أبيّ، فجعل يتصفّح الرّكاب حتى مرّ أبوه، فأناخ به، ثم وطئ على يد راحلته فقال أبوه: ما تريد يا لكع؟

قال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتعلم أيهما الأعزّ من الأذلّ: أنت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم! فمن مرّ به من المسلمين يرفده عبد الله بن عبد الله ويمنع غير ذلك، فيقول: تصنع هذا بأبيك؟! حتى مرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنه، فقيل:

---

(١) ابن عساكر تاريخ دمشق ٦٣/٤١

(٢) صحيح الباري كتاب التفسير باب قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم حديث رقم ٤٦٧٠

(٣) صحيح ابن حبان باب استحباب بر المرء والده حديث رقم ٤٢٨

عبد الله بن عبد الله بن أبيّ يأبى أن يأذن لأبيه حتى تأذن له، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله واطئ على يد راحلة أبيه، وابن أبي يقول: لأنا أذلّ من الصّبيان، لأنا أذلّ من النّساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلّ عن أبيك» ، فخلّى عنه. [١]

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة ير العباد ٤/ ٣٥٢

المبحث الرابع

مراعاة مشاعر أولي القربي

لأولى القربي مكانة خاصة في الأسلام فهم مقدمون في الرعاية على الأيتام والمساكين في آيات الذكر الحكيم وذلك لأن مراعاتهم والإحسان إليهم فيها أجران أجر الصدقة وأجر الصلة، والتأكيد على رعاية مشاعرهم جاء في قول الله تعالى : {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} النساء: ٨ قال الأستاذ الإمام محمد عبده في شرح هذه الآية: الأدب الذي يرشد إليه الكتاب في هذا المقام هو اعتبار أن هذا المال رزق ساقه الله إلى الوارثين عفوا بغير كسب منهم ولا سعل فلا ينبغي أن يبخلوا به على المحتاجين من ذوى القربى واليتامى والمساكين من أمتهم ويتركوهم يذهبون منكسرى القلب مضطربى النفس، ومنهم من يكون الحرمان مدعاة حسده للواث، وأما قول المعروف فهو ما تطيب به نفوس هؤلاء المحتاجين عندما يأخذون ما يفاض عليهم حتى لا يثقل على عزيز النفس منهم ما يأخذه ، ويرضى الطامع فى أكثر مما أعطى فإن من الفقراء من يظهر استقلال ما ناله واستكثار ما نال سواء فينبغي أن يلاطف مثل هذا الأمر ولا يغلظ له في القول، والحكمة في الأمر بقول المعروف أن من عادة الناس أن يتضايقوا ويتبرموا من حضور ذوي القربى مجلسهم في هذه الحالة، ومن كان كارها لشيء تظهر كراهته له في فلتات لسانه فعلمن الله تعالى الأدب في الحديث. (١) إن مراعاة مشاعر أولى القربي أمر مهم وكذلك ترضية خواطرهم ببذل المال والقول اللين الرقيق وعدم إحراجهم بحركة أو قول.

ولعل اهتمام الإسلام بأولى القربي وتقديمهم على اليتامى والمساكين في كل آي الذكر الحكيم التي حثت على العناية بهم واعطائهم من الزكاة والصدقة انما يعود لرعاية مشاعرهم وحفظها من الحسد والضغينة نحو أقاربهم لأنهم مطلعون على ماعندهم من بر ونعمة

(١) الإمام محمد عبده : الأعمال الكاملة تحقيق وتقديم الدكتور/ محمد عمارة جـ٢ ص ١٩٠،١٩١ مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م

الفصل الثاني:

رعاية المشاعر في المحيط المجتمعي

المبحث الأول:

رعاية مشاعر الجيران، لا سيّما المحتاجين منهم

للجار حقوق متعددة على جاره، وقد أمرنا رب العالمين بالإحسان إليه {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ} وهو وصية حامل الوحي جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، روى الشيخان عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١)

ويجعل النبي صلى الله عليه وسلم من تمام إيمان المؤمن محبة الخير للجار كمحبته لنفسه

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(٢) وكذلك خيرية الإنسان تكون بخيريته لجاره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»(٣)

والحب للجار وتمني الخير له لا يمكن أن يكون إلا بمراعاة مشاعره، وعدم جرح أحاسيسه بقول أو بفعل أو بحركة، وكذلك بمشاركته في أفراحه وأحزانه روى الخرائطي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنِ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ، فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهِ وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا، أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَمَازَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ،. .(٤)

---

(١) البخاري : باب الوصاءة بالجار حديث رقم ٦٠١٥ ، مسلم : كتاب البر والصلة باب الوصية بالجار والإحسان إليه حديث رقم ٢٦٢٥

(٢) مسلم : كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير حديث رقم ٧١-٤٥

(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين حديث رقم ١١/٢ حديث رقم ٢٤٩٠ وقال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي

(٤) الخرائطي مكارم الأخلاق ٩٥/١ قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف إحياء علوم الدين (٢ / ٢١٤) وقال الحافظ ابن حجر : ورد

وفي هذا الحديث عدة أمور تتعلق بمراعاة مشاعر الجار منها: السؤال عنه وتفقد أحواله بملاحظتها لا بالتجسس عليها وإجابته إذا طلب المعاونة ودفع المال له إذا طلب قرضا وإن ألمت به جانحة من جوانح الحياة بفقر أو مرض سأل عنه ووقف إلى جواره في نكبته ومصيبته، وواساه وسال عنه، وإن مات اتبع جنازته، ومشاركته في السراء والضراء والأفراح والأحزان، وتصل رعاية مشاعر الجار بعدم الاستطالة عليه في البنيان أو إغاظة ولده، وصنع المعروف وتقديم الهدية.

ومما يبين رعاية مشاعر الجيران ما أخرجه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ[1] شَاةٍ»[2] إنه لبيان لمدى رعاية مشاعر الجار بالإهداء إليه ولو الي اليسير، وكذلك بعدم احتقار هدية الجار ولو كانت يسيرة قال المهلب: فيه الحض على التهادى والمتاحفة ولو باليسير؛ لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، واصطفاء الجيرة، ولما فيه من التعاون على أمر العيشة المقيمة للإرماق[3] وقال ابن حجر: وهو كناية عن التحابب والتوادد فكأنه قال لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت فيتساوى في ذلك الغني والفقير وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء ولأنهن أسرع انفعالا في كل منهما[4]

والهدية تزيل الأحقاد وتؤلف القلوب روى الأم أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ "[5]

تفسير الإكرام والإحسان للجار وترك أذاه في عدة أحاديث أخرجها الطبراني من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ من حديث معاذ بن جبل وألفاظهم متقاربة والسياق أكثره لعمرو بن شعيب وفي حديث بهز بن حكيم وإن أعوز سترته وأسانيدهم واهية لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلا فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٤٦):

(١) الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيقال فرسن شاة، والذي للشاة هو الظلف (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٢٩)

(٢) البخاري : كتاب الأداب باب لا تحقرن جارة لجارتها حديث رقم ٦٠١٧ ، ومسلم : كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة حديث رقم ١٠٣٠

(٣) ابن بطال : شرح صحيح البخاري ٨٥/٧

(٤) ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٤٥/١٠

(٥) مسند الإمام أحمد : مسند أبي هريرة ١٤١/١٥ حديث رقم ٩٢٥٠

رعاية مشاعر المحتاجين

قسم الله سبحانه الرزق بين عباده، وفضل بعضهم على بعض، **{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ}** [النحل: ٧١]، وهذا التفضيل ليس بسبب فضل في الأغنياء، ولكن لحكمة يعلمها الله، فتفاوت البشر في الغنى والفقر راجع لمشيئة الله وحده، وقد جعل الله سبحانه في مال الأغنياء حقا للفقراء فرضا بالزكاة ونفلا بالصدقة، واشترط في أداء هذا الحق أن يكون بنفس راضية، بغير منٍ ولا أذى كما اشترط أن تكون خالصة له سبحانه، وحكم سبحانه ببطلان الصدقات التي يتبعها المن والأذى والرياء فقال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }** البقرة: ٢٦٤

وقد جعل الله رعاية مشاعر المجتاجين بالكلمة الطيبة خير من الصدقة التي يتبعها إيذاء لمشاعرهم فقال سبحانه : **{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}** البقرة: ٢٦٣

والمعنى : إن مقابلة المحتاج بكلام يسر وهيئة ترضي خير من الصدقة مع الإيذاء بسوء القول أو سوء المقابلة، ولا فرق في المحتاج بين أن يكون فردا أو جماعة، فإن مساعدة الأمة ببعض المال مع سوء القول في العمل الذي ساعدها عليه وإظهار استهجانه وبيان التقصير فيه أو تشكيك الناس في فائدته، لا توازي هذه المساعدة إحسان القول في ذلك العمل الذي تطلب له المساعدة والإغضاء عن التقصير الذي ربما يكون من العاملين فيه[١]

ويقول الشيخ أبو زهرة: في هذه الآية الكريمة يبين سبحانه منزلة قول المعروف، وكيف يذهب الأذى بخير الصدقة الفردية، وأن الحرمان فيها مع قول الخير خير من الصدقة مع الأذى بالمن أو غيره، وأن ألم الحرمان أقل من أذى القول؛ لأنه أذى يصيب النفس بالجراح، وجراح النفس ليس لها التئام، أما ألم الحرمان فيذهبه الصبر، ووراء الصبر الفرج القريب، وإن الله مع الصابرين[٢].

ورعاية مشاعر المحتاج ليس بكونه محتاجا للمال فحسب بل يدخل فيه أي محتاج لقضاء مصلحة أو لفهم شيء من العلم أو الاستفهام عن حل فقهي يقول الأستاذ الإمام لا تزجر سائلا مستفهما مسترشدا وإن ضعف عقله وعظم جهله، فقد ذقت من ألم الحيرة ما يعطفك على المتحيرين. [٣] ويقول الشيخ ابن عاشور: جعل الله الشكر عن هدايته إلى طريق الخير أن يوسع باله للسائلين. فلا يختص

---

(١) محمد عبده:: الأعمال الكامله ٧٣٦/١

(٢) أبو زهرة: زهرة التفاسير ٢/ ٩٧٧

(٣) محمد عبده : الأعمال الكامله ٤٥٥/٢

السائل بسائل العطاء بل يشمل كل سائل[1] . إنها لعظمة الإسلام في مراعاة مشاعر الناس وتطييب خواطرهم وعدم إحراجهم عند احتياجهم للاستفسار عن شيء يحتاجون لمعرفته

(١) الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٤٠٣ الدار التونسية للنشر ١٩٨٣م

المبحث الثاني:
رعاية مشاعر الضعفاء

والضعفاء لهم في الإسلام شأن واهتمام كبير.

وكلمة الضعفاء في الإسلام تطلق على ذوي الضعف البدني أو المادي أو النوعي، وتطلق على من ضعف في أي حالة من حالات الحياة (شدة ورخاء، غنى وفقرًا، حرية وأسْرًا، صحة ومرضًا، ذكرًا وأنثى، .....) وليس قولنا عن أي من هؤلاء: ضعيف، يعني أنه مهملٌ أو متروك، أو لا يُأبه له في حياة المسلمين؛ لا بل له حقوق يجب أن يؤديها له باقي المجتمع.

فالمرأة من الضعفاء ... وكبار السّنّ من الضعفاء ... المريض ... الطفل ... الأسير ... المظلوم ... اليتيم ... الأرملة .... ذوو الاحتياجات الخاصة ... المعاقون ... الكفيف ... الأعرج ... المسكين .... الفقير مالاً ..... كل هؤلاء من الضعفاء، الذين تزداد الأهمية في الاهتمام بشأنهم والقيام بحاجاتهم...

مكانة الضعفاء في الشريعة الإسلامية:

ولقد اهتمت شريعة الإسلام بحال الضعفاء وعظّمت قيمتهم وطاقتهم –فليسوا طاقات مهمّشة، ولا أُناس مهمَلين–، كما عظَّمَت ثواب الذي يعين ضعيفًا من هؤلاء، ولا ينتظر ثوابًا من البشر، بقدر ما تكون نيته وغايته نيل رضا الله تعالى، ومعاملته بالمثل في الآخرة؛ لا سيّما وهي دار الضعف، ولا يقوى فيها إلا من قوّاه الله تعالى، وثبّته وأيّده ووفقه لجنته ورضوانه.

ففي الحديث: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» [صحيح البخاري (٣/ ١٢٨)]**. إنّه دين الإسلام الذي يربي في النفوس حب الآخرين والوقوف بجوارهم، والعمل على معونتهم ورفع البأساء والظلم عنهم.

ومما يبيّن عظمة الضعفاء في الإسلام ما يأتي:

- **أنّ الخير والبركة لا تحل إلا بسبب مراعاتهم والقيام بقضاء حوائجهم**، ففي الحديث الصحيح: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» [صحيح البخاري (٤/ ٣٧)]**. فمن أرْضَاهم وعمِل على خدمتهم ورفع الحرج والظلم عنهم رزقه الله وأعانه ونصره وأيّده في الدنيا قبل الآخرة. وبالضعفاء تنتصر الأمّة.
- **تعظيم شأن القائم منهم على بناء وطنه وأمّته، وفي كل جانب من جوانب حياة الضعفاء تلحظ دروًا بارزًا لهم في بناء الأوطان والبلدان، فذوو الاحتياجات الخاصّة والضعفاء بناة للأُمّة، وليسوا**

عبئًا على الأُمّة؛ بل كان لهم دور عبر التاريخ وتمّ توظيف طاقتهم الخادمة للدين والدنيا، ومن النماذج السريعة الدالة على ذلك:

- ⇦ عبدالله بن مكتوم ودوره في القادسية ونصرة الإسلام.
- ⇦ المرأة السوداء التي كانت تقمّ المسجد وشهادة النبي ﷺ بالجنّة.
- ⇦ والمرأة الطبيبة المجاهدة رُفَيْدَة التي كانت تطب المصابين في غزوة الأحزاب وغيرها.
- ⇦ الرجُل الأعرج عمرو بن الجموح، ويريد نصرة الدين بعرجته، ويريد الجنّة بعرجته، وتتحقق أمنيته فيدخل الجنّة وهو الضعيف الأعرج. وأحرج الأصحّاء بحركته... فلا نامت أعين الجبناء!.
- ⇦ الشيخ محمد رفعت وكان قائدًا عظيمًا في قراءة القرآن وأسلم على يديه أناس بقراءته للقرآن وكان رجلاً كفيفًا أعمى. وكذا الشيخ كشك رحمه الله تعالى.
- ⇦ الشيخ أحمد ياسين ذلكم القعيد الذي أحيا الله به الأُمّة وأيقظ به فريضة الجهاد ومقاومة المحتل السارق للأرض والمغتصب للعِرْض.
- ⇦ الأطفال ودورهم البارز في بناء الأوطان وخدمة صاحب الرسالة، فزيد بن ثابت يجتهد، وأسامة يقود، ومعاذ يدعو، ومصعب ينشر الخير في المدينة،
- ⇦ الدكتور زكي عثمان رحمه الله كان علما ورعا ذا عقل يقظ وفطنة عظيمه اتفعنا بعلمه لم تمنعه اعاقته في بصره وقدميه من الوصول لأعلى المراتب العلمية

✍ **ومما يبيّن عظمة الضعفاء في الإسلام: أنّ رحمت الله قريبٌ من المحسِن إليهم،** فرسولنا علّمنا كيف تكون خدمتهم وقضاء حوائجهم، كما كان يصنع مع الجارية ويحمل لها حاجتها، –وهو مَن هُو ﷺ– لم يكتف النبي ﷺ بالعمل بنفسه، بل وشجّع غيره وعظّم ثواب من خدم وقضى حوائج الضعفاء فقال عليه الصلاة والسلام: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**» **[صحيح البخاري (٧/ ٦٢)]**.

✍ **الضعفاء ليسوا عِبْئًا على أُسَرِهِم وأَهْلِيهم، بل لأهليهم الثواب الكبير إذا صبروا وتحمّلوا وخدموا وعالُوهم بخير معونةٍ وأشرف خدمةٍ،** ففي باب البلاء بضعف الضعيف يكتب الثواب لمن ابتلي بذلك: وقد ورد عن البخاري في الصحيح: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». فعلى الإنسان إذا ابتلي بشيء من ذلك أن يتحمّل ويصبر ويتقبل الأمور برضا بقضاء الله وقدره. "وبشر الصابرين". وفي الثواب للأهل: فليعلم كل مبتلى بضعيف من هؤلاء أنّهم منحة ونعمة من الله تعالى، لا تعرف قيمتها إلا إذا فقدتها، وبسببهم تكثر البركة في بيتك ومالك وأهلك، وتجد المعونة من الله تعالى.

✍ **حرّمَ الإسلام السخرية من شأن الضُّعفاء** (امرأة أو طفلاً أو عاجزًا في مرض، أو فقيرًا .....) فلهم مشاعر وأحاسيس يجب أن تحترم كباقي الناس، لا سيّما ذوي الاحتياجات الخاصّة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ **[الحجرات: ١١]**، ويقول النبيّ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُه**ُ» **صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦)**. والمسلم صاحب أدب راقٍ لا يعتدي باللفظ ولا بالفعل على الآخرين، لا سيّما من اشتد به الضعف والفاقة والحاجة. ومن رأى ضعيفًا أو مبتلى فليتعلّم من سيد النّاس وهو يقول إذا رأى مبتلى، فكما عند الترمذي وقال عنه الألباني: "حسن" «**مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ**». وما ذاك إلا إيمانًا من المسلم بأنّ دوام الحال من المُحال، فالفقير قد يكون غنيًّا يومًا والعكس، والمريض قد يكون صحيحًا والعكس، والأيّام دُول، فالحذر الحذر.

❁❁❁

مراعاة الإسلام لحقوق الضعفاء:

ولقد احترم الإسلام حقوق الضعفاء، واتخذ الإجراءات اللازمة لحمايتهم وصيانة حياتهم من البطش والظلم، ومن بين الصور التي وجّه الإسلام بها المسلمين إلى حماية الضعفاء الآتي:

١. توفير الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والمسكن والدواء والكساء والعشرة الحسنة الطيبة. (موقف عمر من المسكين النصراني وإعطائه له من بيت مال المسلمين؛ احترامًا لكبر سنّه ولو كان غير مسلم).

٢. احترام المشاعر والأحاسيس للضعفاء، فيحترم الفقير والمريض والمبتلى في بدنه. (موقف النبي من الصحابة لما ضحكوا من دقّة ساق ابن مسعود).

٣. الحفاظ على أموالهم من الضياع أو الإتلاف أو البطش والمصادرة. (موقف النبي صلى الله عليه وسلّم من حلف الفضول ونصرة المظلوم) وأوْلى بالأمة الإسلامية إذا رأت مظلومًا ضعيفًا في موقف أن تقف بجواره وأن تنصره وألا تخذله في موطن يحب النصرة فيه.

٤. الحافظ على أموال اليتامى خاصة، والتحذير من أكلها بغير حقّ، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠].**

٥. إصلاح حال الضعيف بقدر المستطاع: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠].**

٦. الاهتمام بشأن المرأة في الإسلام –لضعفها– فحرّم الاعتداء عليها بالقتل في الصغر لأي غرض –كعادة أهل الجاهلية–، وحرّم اغتصاب حقها في الميراث من مال أبيها أو زوجها أو أخيها ... الخ، وحقها في العشرة الطيبة مع زوجها، وبرها وهي أم كبيرة السنّ.

وهكذا يراعي الإسلام حقوق الضعفاء جميعًا باختلاف أنواعهم، وتباين أسباب ضعفهم، ويعمل على احترام مشاعرهم وتقديرها، وتقدير جهودهم في خدمة دينهم ونصرة شريعتهم، وأداء خدمات لأوطانهم.

ولذا نخص الحديث هنا عن ذوي الاحتياجات الخاصة، والنساء، وأهل المصائب، وذلك على النّحو التالي:

أولا: رعاية مشاعر ذوي الاحتياجات الخاصة

ذوو الاحتياجات الخاصة هم الذين ابتلاهم الله بنقص في تكوينهم الجسدي أو العقلي ومع أن بعضهم قد يكون أكثر في مجاله من الأصحاء إلا أنه ينبغي مراعاة مشاعرهم وأحاسيسهم، وقد عاتب الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في عبوسه وإعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم روى الحاكم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أُنْزِلَتْ عَبَسَ وَتَوَلَّى فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى فَقَالَتْ: أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْشِدْنِي، قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى مَا أَقُولُ بَأْسًا» فَيَقُولُ: «لَا» فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ عَبَسَ وَتَوَلَّى[١] وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعدها إذا أقبل عليه ابن أم مكتوم يقول له : مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه[٢] وظلت لابن أم مكتوم رضي الله عنه مكانة عند أمهات المؤمنين عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهِيَ تُقَطِّعُ لَهُ الْأُتْرُجَّ يَأْكُلُهُ بِعَسَلٍ فَقَالَتْ: «مَا زَالَ هَذَا لَهُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ عَاتَبَ اللَّهُ فِيهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا أَرَادَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نُزُولَ سُورَةِ عَبَسَ وَتَوَلَّى»[٣]

ورعاية لمشاعر رجل كفيف اليصر هو عتبان بن مالك رضي الله عنه يذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ويصلى له في مكان ليتخذه عتبان مصلى له روى البخاري عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، كَانَ يَؤُمُّ قَوْمَهُ وَهُوَ أَعْمَى، وَأَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا تَكُونُ الظُّلْمَةُ وَالسَّيْلُ، وَأَنَا رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ، فَصَلِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ؟» فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤]

وفي تشريع الرخص رحمة بالضعفاء وأصحاب الأعذار عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تترك معصيته»**[٥]يقول الإمام الغزالي: أخبر إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (تطييباً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين كلهم عليه اختلاف أصنافهم ودرجاتهم[٦]

وكذلك ما في عقولهم خلل يجب مراعاة مشاعرهم وترضيتهم وعدم إظهار الاحتقار لهم روى مسلم عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ

---

(١) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ٥٨٨/٢ حديث رقم ٣٨٩٦ وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م

(٢) راجع الحلبي : السيرة الحلبية ٤٣١/١ دار الكتب العلمية بيروت ط٢ عام ١٤٢٧هـ

(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ٧٣٥/٣ حديث رقم ٦٦٧٠ (مرجع سابق)

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأذان باب الرخصة في المطر والعلة حديث رقم ٦٦٧

(٥) صحيح ابن حبان حيث رقم ٢٧٤٣ ، وصحيح ابن يمة ٢٠٢٧

(٦) الغزالي : إحياء علوم الدين ٤/ ٢٧٨

انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا(١)

ثانيًا: رعاية مشاعر النساء

المرأة أكثر احتياجا من الرجل في مسألة المشاعر، ولذا حث الإسلام على رعاية مشاعرها فتخفيف الإمام في الصلاة إذا سمع بكاء الصغير هو من باب رعاية مشاعر أمه حتى لا تتشتت بين الصلاة وولدها روى البخاري عن قَتَادَةُ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»(٢)

ومن رعاية مشاعر النساء تطمين قلوبهن بدوام العشرة وفي قصة النساء الإحدى عشرة التي قصتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»(٣) لقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأفضل رعاية لمشاعرها وارضاء لقلبها قال العيني: قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيبا لنفسها، وإيضاحا لحسن عشرته إياها، ثم استثنى من ذلك الأمر المكروه منه أنه طلقها، وإني لا أطلقك، تتميما لطيب نفسها وإكمالا لطمأنينة قلبها ورفعا للإبهام لعموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع إذا لم يكن فيها ما تذمه سوى طلاقه(٤)

ومن مراعاة مشاعر النساء منعهم من رؤية المناظر المفجعة خاصة في عزيز لديهم عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي الزُّبَيْرُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى، حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَرَاهُمْ. فَقَالَ: " الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ ". قَالَ الزُّبَيْرُ: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَلَدَمَتْ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَلْدَةً، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أَرْضَ لَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَمَ عَلَيْكِ. قَالَ: فَوَقَفَتْ وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا، فَقَالَتْ: هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حَمْزَةَ، فَقَدْ بَلَغَنِي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به حديث رقم ٢٣٢٤ دار الاعتصام القاهرة ٢٠١١م

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي حديث رقم ٧٠٩

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب حس المعاة مع الأهل حديث رقم ٥١٨٩ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع حديث رقم ٢٤٤٨

(٤) العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠/ ١٧٨

مَقْتَلُهُ فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا، قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَتِيلٌ، قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ، قَالَ: فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ، وَالْأَنْصَارِيُّ لَا كَفَنَ لَهُ، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ، وَلِلْأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ، فَقَدَرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الآخَرِ، فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا فَكَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي طَارَ لَهُ[١]

فالنبي صلى الله عليه وسلم منع السيدة صفية من رؤية أخيها حمزة بعد مقتله والتمثيل بجثته خوفا على مشاعرها.

ورعاية لمشاعر امرأة من المسلمين يسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لها أن تضرب بالدف عد رأسه فرحة بعودته عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض مغازيه، فجائت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب على رأسك بالدف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن نذرت فافعلي، وإلا فلا" قالت: إني كنت نذرت. فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربت بالدف [٢]

يقول ابن القيم: له وجهان، أحدهما: أن يكون أباح لها الوفاء بالنذر المباح تطييبا لقلبها وجبرا وتأليفا لها في زيادة الإيمان وقوته وفرحها بسلامة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والثاني: أن يكون هذا النذر قربة لما تضمنه من السرور والفرح بقدوم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سالما مؤيدا منصورا على أعدائه قد أظهره الله وأظهر دينه، وهذا من أفضل القرب، فأمرت بالوفاء به[٣]

و قال أبو علي الدقاق: جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة؟ فاتفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة. فخجلت. فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأوهمها أنه أصم. فسرت المرأة بذلك. وقالت: إنه لم يسمع الصوت. فلقب بحاتم الأصم وهذا التغافل هو نصف الفتوة[٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد حديث رقم ١٤١٨ وصححه الألباني في الإرواء ص ١٤٧

(٢) صحيح ابن حبان حديث رقم ٤٣٨٦

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤ / ٢٤٥

(٤) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٣٢٨):

ثالثًا: رعاية مشاعر أهل المصائب

أهل المصائب من مرض أو موت عزيز لديهم يحتاجون للمواساة تخفيفا عليهم من الهم والحزن الذي يكابدونه، وقد شرع الإسلام المواساة لهم ليس هذا فحسب بل بتطييب خواطرهم وزرع الأمل في قلوبهم ولذا نصحنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزرع الأمل في نفوسهم روى الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى المَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِي أَجَلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا وَيُطَيِّبُ نَفْسَهُ»[1] : إن المريض في أشد الاحتياج لمن يزرع له أمل الشفاء ويطيب خاطره بإمكان زوال المرض واستمرار الحياة

وكذلك أهل المصائب بفقدان عزيز عليهم يحتاجون إلى من ينفس عنهم في مصيبتهم روى البزار عَنْ عَبد اللَّهِ بْنِ بُرَيدة، عَن أَبيهِ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم فَبَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ مَاتَ ابْنٌ لَهَا فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الْمَرْأَةِ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا يُعَزِّيهَا فَدَخَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكِ جَزِعْتِ عَلَى ابنك فقالت يانبي الله ومالي لا أَجْزَعُ، وَأنا رَقُوبٌ لا يَعِيشُ لِي وَلَدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: إِنَّمَا الرَّقُوبُ الَّذِي يَعِيشُ وَلَدُهَا إِنَّهُ لا يموت لامرأة مسلمة، أو امرىء مُسْلِمٍ نَسَمَةً _، أَوْ قَالَ _ ثَلاثَةً مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبَهُمْ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ عُمَر، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وهُو عَلَى يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم بِأَبِي وَأُمِّي وَاثْنَيْنِ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: واثنين. [2] فالمرأة تصف نفسها بأنها شؤم لايعيش له لها ولد فيخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها ليست شؤما وإنما هي خيرة لأن ولدها سيكون سببا في دخولها الجنة . يقول ابن الأثير : الرقوب في اللغة: الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، لأنه يرقب موته ويرصده خوفا عليه، فنقله النبي صلى الله عليه وسلم إلى الذي لم يقدم من الولد شيئا: أي يموت قبله، تعريفا أن الأجر والثواب لمن قدم شيئا من الولد، وأن الاعتداد به أكثر، والنفع فيه أعظم. وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيما فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء في الآخرة أعظم، وأن المسلم ولده في الحقيقة من قدمه واحتسبه، ومن لم يرزق ذلك فهو كالذي لا ولد له [3]

ومن مراعة مشاعر أهل المصيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمهل أل جعفر ثلاثة أيام يبكون فيها على مصابهم ثم أتاهم ليطيب خاطرهم أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله

---

(١) سنن الترمذي ٤١٢/٤ وقال حديث غريب

(٢) مسند البزار ٢٨٩/١٠

(٣) ابن الأثير : النهايه في غريب الحديث والأثر ٢٤٩/٢ المكتبة العلمية بيوت ١٩٧٩م

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ – ثَلاثًا – أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: " لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلِي ابْنَيِ أَخِي " قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلاقَ، فَجِيءَ بِالْحَلاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي " ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: " اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ "، قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: " الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟!"[1] فالنبيي صلى الله عليه وسلم أمهلهم ثلاثة أيام مراعيا مشاعرهم في حزنهم على جعفر رضي الله عنه ثم أتاهم مواسيا لهم ومطيبا لخاطرهم فقال لهم (لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ) ليشعرهم بأنه مثلهم في الحزن على جعفر، ثم دعا الحلاق ليحلق للأطفال شعرهم نظافة وتجملا، ثم يطيب خاطر الأطفال فيقول ل(محمد)انت شبيه عمنا أبي طالب، ويدل هذا على مدى إعزاز النبي صلوات الله وسلامه عليه لأبي طالب رغم عدم إيمانه، ويقول ل(عبد الله) مطيبا خاطره أنتَ شَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي كما قال لأبيه ذلك من قبل ويدعو لعبد الله بالبركة في صفقة يمينه، ولم تكن البركة خاصة بالتجارة وكسب المال فحسب، وإنما كانت البركة كذلك في عطاياه فكان جواداً ظريفاً خليقا عفيفاً حليماً يسمى بحر الجود، ويقال: أنه لم يكن في الإسلام أسخى منه وأخباره في الكرم شهيرة. وقال ابن حبان: كان يقال له قطب السخاء[2] ثم طيب خاطر الأم التي تخشى على مستقبل أولادها الأيتام بأنهم وليهم في الدنيا والأخرة، ومن كان رسول الله مولاه فلا يخاف الضياع. فانظر لهذه الجوانب الإنسانية في رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لآل جعفر وتطييب خواطرهم.

فأهل المصائب والابتلاءات يحتاجون إلى تطيب خواطرهم وذلك بتصبيرهم على مصيبتهم ، والتخفيف من معاناتهم وأحزانهم ، بالكلمة الطيبة ، والفعل الحسن ، فعندما صُلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إن أسماء في ناحية المسجد . فما كان منه عندما سمع ذلك إلا أن ذهب مسرعاً يواسيها ، ويطيب نفسها على ابنها . فيقول لها : (إن هذه الجثث ليست بشئ ، وإنما الأرواح عند الله : فاتقي فاتقي الله واصبري. فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.) [3]

---

(١) مسند الإمام أحمد حديث عبد الله بن جعفر رقم ١٥٧٠ جـ٣/٢٧٩ مؤسسة الرسالة بيروت ٢٠٠١م وقال شعيب صحيح على شرط مسلم

(٢) أبو الحسن المباركفوري: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣١٧/٥ الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

(٣) شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٩٤،٢٩٥/٢ مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يواسون أهل الابتلاء ويطيبون خاطرهم ومن ذلك أنه لما قطعت رجل عروة بن الزبير رضي الله عنه جاءه عيسى بن طلحة لمواساته، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعمك رجلي. ففعل، فقال عيسى: إنا – والله يا أبا عبد الله – ما أعددناك للصراع، ولا للسباق، ولقد أبقى الله منك لنا ما كنا نحتاج إليه؛ رأيك وعلمك. فقال: ما عزاني أحد مثلك[١]، وقال ابن خلكان : وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة وقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أربٌ في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء، ومن علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك، والضمين بحسابك.[٢] ومن مأثور العرب في المواساة عزى شبيب بن شيبة المهدي عن ابنته البانوقة فقال: جعل الله ثواب ما رزئت به لك أجرا، وأعتقك عليه صبرا، وختم لنا بعاقبة تامة، ونعم عامة، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا غيّر ما بك من نعمة، ثواب الله خير لك منها، وما عند الله خير لها منك، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل.[٣]

وأهل الإيمان حينما يرون مصيبة نزلت بأحد لايشمتون بل يواسون أهل الميت يقول ابن القيم عن خلق شيخه الإمام ابن تيمية : وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له. فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحو هذا من الكلام. فسروا به ودعوا له. وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه[٤]

مراعاة مشاعر غير المسلمين

حث الإسلام على رعاية اليتامى وتعويضهم عن فقد أبائهم وتعهدهم بالرعاية والعناية، واليتيم كما قال علماء اللغة اليتيم من البشر من فقد أباه، وفي الحيوان من فقد أمه لماذا؟ لأن في الإنسان الغالب أن الذي يقوم بالرعاية هو الأب أما في الحيوانات فالذي يقوم بالرعاية الأم، وجاء الإسلام ليشرع لليتيم حقوقًا متعددة، ولفظ اليتيم واليتامي ويتامي ويتيمين واليتيم بالألف واللام ورد في القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية، وهي تتحدث عن اليتامى وعن حق اليتامى، والبعض يظن أن

---

(١) المرع نفسه ٤٣٤/٤

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٥٦/٣

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق ١٢٩/٧٣

(٤) ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (/ ٣٢٩ :دار الكتاب العربي ١٩٦٦م

اليتامى حقهم هو الرعاية المادية فقط. –لا– قد لا يحتاجون إلى رعاية مادية، فقد يكون الآباء قد تركوا لهم أموالًا، ولكنهم يحتاجون إلى رعاية أخرى هي رعاية العناية، أن لا يشعر اليتيم في يوم من الأيام بأنه فقد أباه، وأن يشعر أنه هو والناس الآخرون سواء بسواء، ألا ما أحوج اليتامى إلى هذه الرعاية! وإلى هذه العناية! إنها رعاية قد تعدل أمورًا كثيرة يغفل عنها الناس والأحاديث الواردة عن المسح على رأس اليتيم لترقيق القلب ولإشعار هذا اليتيم بأن له مكانة معينة، وتعظيما لصاحبه، وشفقة عليه، ومحبة له، وجبرا لخاطره، وهذه كلها مع اليتيم تقتضي هذا الثواب الجزيل. ما أحوج اليتامى إلى مثل هذه الرعاية، وأيضًا بعد هذه الرعاية المعنوية تأتي رعاية أخرى وكفالة أخرى كفالة مادية، والله يقول للنبي صلى الله عليه وسلم {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى: ٦]، فجعل من النعم الكبرى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه أواه

المبحث الثالث:

مراعاة مشاعر غير المسلمين

الهدف من إرسال النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم هو الرحمة للعالمين للناس جميعا، ولذا كانت الآداب والفضائل التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ليست خاصة بالمسلمين فحسب، وإنما شملت أيضا غيرهم. فمراعاة مشاعر البشر حتى ولو كانوا من غير المسلمين أمر جاء به التشريع عنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى بَدْرٍ لَقِيَهُ بِالرَّوْحَاءِ، فَسَأَلَهُ الْقَوْمُ عَنْ خَبَرِ النَّاسِ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبَرًا، فَقَالُوا لَهُ: سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَوَ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي مَا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ؟ فَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا: لَا تَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا أُخْبِرُكَ نَزَوْتَ عَلَيْهَا فَفِي بَطْنِهَا سَخْلَةٌ مِنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحُشْتَ عَلَى الرَّجُلِ يَا سَلَمَةُ» ، ثُمَّ أَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ كَلِمَةً حَتَّى قَفَلُوا. [1] رفض النبي صلى الله عليه وسلم إحراج هذا الرجل مع أن سؤاله كان مستفزا

وفي يوم فتح مكة يطيب النبي صلى عليه وسلم خاطر أبي سفيان فيجعل الدخول إلى بيته أمانا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ، جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[2] إن أبا سفيان كان ذا منزلة عالية في قومه، وكان يحب الفخر فطيب النبي صلى الله عليه وسلم خاطره بهذا الأمر مراعاة لمشاعره المحبة للفخر.

---

(١) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ٤٧٢/٣حديث رقم ٥٧٦٧ وقال صحيح مرسل ووافقه الذهبي

(٢) سنن أبي داوود ١٦٢/٣ حديث رقم ٣٠٢١

المبحث الرابع:

رعاية المشاعر مع أصحاب الهدايا

الهدية تؤلف القوب وتطيب الخواطر وتشيع الحب بين الناس ولذا قال رسول الله تهادوا وليس بشرط في الهدية أن تكون نفيسة ولكنها تعبير عن المحبة وتأليف للقلوب ولذا يقول : «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[١]

قال ابن بطال : هذا حض منه لأمته على المهاداة، والصلة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئًا مما يُهدى إليه أو يدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدى، وإنما أشار بالكراع وفرسن الشاة إلى المبالغة فى قبول القليل من الهدية، لا إلى إعطاء الكراع والفرسن ومهاداته؛ لأن أحدًا لا يفعل ذلك. [٢]

وقال المناوي : (لو أهدى إلي كراع) كغراب ما دون الركبة إلى الساق من نحو شاة أو بقرة (لقبلت) ولم أرده على المهدي وإن كان حقيرا جبرا لخاطره (ولو دعيت إليه) أي لو دعاني إنسان إلى ضيافة كراع غنم (لأجبت) لأن القصد من قبول الهدية وإجابة الدعوى تأليف الداعي وإحكام التحابب وبالرد يحدث النفور والعداوة ولا أحتقر قلته[٣]

ولا ينبغي احتقار من أهدى الشيء اليسير رعاية لمشاعره، بل ينبغي أن يشكر على فعله وجهده، تطييبا لخاطره عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: أَهْدَتْ أُمُّ سُنْبُلَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنًا فَدَخَلَتْ عَلَيَّ بِهِ فَلَمْ تَجِدْهُ فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَأْكُلَ طَعَامَ الْأَعْرَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُنْبُلَةَ مَا هَذَا مَعَكِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَبَنٌ أَهْدَيْتُهُ لَكَ. قَالَ: «اسْكُبِي يَا أُمَّ سُنْبُلَةَ» فَنَاوَلَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ: «اسْكُبِي يَا أُمَّ سُنْبُلَةَ» فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَرِبَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثْتُنَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنْ طَعَامِ الْأَعْرَابِ. فَقَالَ: «يَا عَائِشُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَعْرَابٍ هُمْ أَهْلُ بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَتِهِمْ وَإِذَا دُعُوا أَجَابُوا فَلَيْسُوا بِأَعْرَابٍ»[٤] ووضح ابن سعد سبب امتناع أم المؤمنين عائشة عن قبول هدية أم سنبلة فروى عنها أنها قالت : قالت: لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله أن نقبل هدية من أعرابي. فجاءت أم سنبلة الأسلمية بلبن فدخلت به علينا فأبينا أن نقبله. فنحن على ذلك إلى أن جاء رسول الله معه أبو بكر فقال: ما هذا؟ فقلت: يا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح باب من أجاب إلى كراع حديث رقم ٥١٧٨

(٢) ابن بطال شرح صحيح البخاري ٨٧،٨٨/٧ مكتبة الرشد الرياض ٢٠٠٢م

(٣) المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣١٤/٥ المكتبه التجارية الكبرى – مصر ١٣٥٦هـ

(٤) الحاكم : المسترك على الصحيحين وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

رسول الله هذه أم سنبلة أهدت لنا لبنا وكنت نهيتنا أن نقبل من أحد من الأعراب شيئا. فقال رسول الله. صلى الله عليه وسلم : خذوها فإن أسلم ليسوا بأعراب. هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم إذا دعوناهم أجابوا وإن استنصرناهم نصرونا. (١)

وفي تطييب خواطر أهل الهدية يعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم لرجل صاد له صيدا حالة كون النبي صلى الله عليه وسلم محرما روى البخاري عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ»(٢) فهذا الهدي العظيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى تغير وجه الصعب طيب خاطره وبين له علة الرد بأن المحرم لا يأكل من الصيد الذي صيد من أجله قال الإمام النووي: (إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم) فيه جواز قبول الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف الصدقة وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييبا لقلبه(٣)

وفي قبول الهدية من الفقير تطيب لخاطره روى البخاري عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا» ، أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ» ، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ(٤) لقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الثوب من هذه المرأة جبراً لخاطرها بتلقي هديتها بالقبول، ففيه استحباب المبادرة لأخذ الهدية لجبر خاطر مهديها(٥) وكذلك لا يسأل من قدم له طعاما أحلال أم حرام عن أبي هريرة رضي الله عه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم، فأطعمه طعاما، فليأكل من طعامه، ولا يسأله عنه، وإن سقاه شرابا من شرابه، فليشرب من شرابه، ولا يسأله عنه "(٦) يقول المناوي: (إذا

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٢٨/٨ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصيد – باب إذا أهي للمحرم حمارا وحشيا لم يقبل حديث رقم ١٨٢٥

(٣) شرح النووي على مسلم ١٠٧/٨

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجنائز – باب من استعد الكفن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه حديث رقم ١٨٢٥

(٥) البكري : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٥٥٦/٤ دار المعرفة بيروت ط٤ عام ٢٠٠٤م

(٦) مسند الإمام أحمد حديث رقم ٩١٨

دخل أحدكم على أخيه المسلم) لزيارة أو غيرها (فأطعمه) من (طعامه فليأكل) منه ندبا هكذا هو ثابت في الحديث وإن كان صائما نفلا جبرا لخاطره (ولا يسأل عنه) أي عن الطعام من أي وجه اكتسبه ليقف على حقيقة حله فإن ذلك غير مكلف به ما لم تقو الشبهة في طعامه والمراد لا يسأل منه ولا من غيره (وإن سقاه من شرابه فليشرب) منه أيضا (ولا يسأل عنه) كذلك لأن السؤال عن ذلك يورث الضغائن ويوجب التباغض والظاهر أن المسلم لا يطعمه ولا يسقيه إلا حلالا فينبغي إحسان الظن وسلوك طريق النوادر فيتجنب عن إيذائه بسؤاله. [1]

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٣٧/١

المبحث الخامس:

رعاية المشاعر مع الخصوم

لقد تحدث الفقهاء عن الأداب التي يراعيها القاضي بين الخصوم من حيث دخولهم عليه وهيئة مجلسهم عنده ولا ينظر لأحدهم دون الآخر، ولا يرفع صوته على واحد منهما دون الآخر عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيُسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ فِي الْإِشَارَةِ وَالنَّظَرِ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِ» [(١)] وفي كتاب عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه قوله آسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكَ وَوَجْهِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَخَافَ ضَعِيفٌ جَوْرَكَ[(٢)]

والمساواة بين الخصوم على هذا النحو في الجلسة والنظرة والكلام وغير ذلك فيه راحة لمشاعر الخصوم فلا يظن أحدهما أن القاضي سيجور عليه، أو أنه سيحابي خصمه فيحكم له. يقول على حيدر : يجب على القاضي أن لا يعمل أعمالا تسبب التهمة وسوء الظن كقبول دخول أحد الطرفين إلى بيته، والاختلاء مع أحدهما في مجلس الحكم أو في محل آخر، والإشارة لأحدهما باليد أو بالعين أو بالرأس أو التكلم مع أحدهما كلاما خفيا، أو تكلمه مع أحدهما بلسان لا يفهمه الآخر، أو بالقيام لأحدهما، أو بالضحك في وجه أحدهما أو بإرشاد أحدهما أثناء المحاكمة لأنه يوجد في كل حال من هذه الأحوال ميل لأحد الطرفين وجور على الطرف الآخر فيجب على القاضي الاحتراز من ذلك لأنه بذلك يسبب انكسار قلب الخصم الآخر[(٣)]

وللتشريع الإسلامي منهج عظيم في إرضاء مشاعر الخصوم وتطييب خواطرهم، وليس أدل على ذلك من قصة الخلاف الذي وقع بين علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم حول بنت حمزة رضي الله عنه روى البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله قوله : خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ، تُنَادِي يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي. فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» ، وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا» ، وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلاَ تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي

---

(١) الطبراني : المعجم الكبير ٣٨٦/٢٣ حديث رقم ٩٢٣ ، البيهقي : السنن الصغرى ١٢٣/٤ حديث رقم ٣٢٥٧

(٢) سنن الدر قطني ٣٦٩/٥ حديث رقم ٤٤٧٢

(٣)علي حيدر خواجه أمين أفندي درر الحكام في شرح مجلة الأحكام (٤ / ٥٩٣): تعريب: فهمي الحسيني دار الجيل الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

مِنَ الرَّضَاعَةِ»[1] لقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بما أرضى قلوب الجميع ، وطيب خواطرهم. فقضى بالبنت للخالة، لأنها بمنزلة الأم في الشفقة والحنان ، وخالتها كانت زوجا لجعفر وقال لِعلي: " أنت مني وأنا منك " وكفى بهذا فخراً، وفضلا. وقال لجعفر: " أشبهت خَلقِي وَخُلُقِي " فأنت مثلي بالأخلاق الظاهرة والصورة، ومثلي في الأخلاق الحميدة الباطنة، من الحلم، والكرم، واللطف وغيرها، وكفى بهذه بشارة وسروراً. فقد طيب خاطره لأن الحكم بالحضانة له من أجل زوجه وهي خالة المحضونة لا من أجله هو. وقال لزيد: أنت أخونا في الإسلام، ومولانا، ومولى القوم منهم. فكل منهم رضي واغتبط بهذا الفضل العظيم.

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم ٤٢٥١

المبحث السادس:

رعاية المشاعر في المزاح

مع أن المزاح بين الناس أمر مباح إلا أنه ينبغي الا يجرح مشاعر الأخرين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح مع أصحابه ولكنه كان يراعي مشاعرهم ويطيب خاطرهم عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ» . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ لَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْ، مَنْ هَذَا؟ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو حَتَّى أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِبَطْنِ النَّبِيِّ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» . فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِكَاسِدٍ – أَوْ قَالَ – عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ»[1] فهذا الهدي النبوي يراعي مشاعر الناس حتى في وقت المزاح.

يقول ابن القيم: مزاحه مع من كان يمزح معه من الأعراب والصبيان والنساء تطييبا لقلوبهم واستجلابا لإيمانهم وتفريحا لهم وفي مراسيل الشعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على أصحاب الدركلة فقال خذوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة ذكره أبو عبيد وقال الدركلة لعبة العجم فالنبي صلى الله عليه وسلم يبذل للنفوس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به ويكون المبذول مما يلتذ به الآخذ ويحبه لأن ذلك وسيلة إلى غيره[2]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٩٠/٢٠ حديث رقم ١٢٦٤٨ وقال شعيب إسناده صحيح على شرط الشيخين مسند أبي يعلى الموصلي ١٧٤/٦ حديث رقم ٣٤٥٦ وقال المحقق اسناده صحيح

(٢) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين ١ / ١٦٣

المبحث السابع:

رعاية المشاعر عند التعامل مع المخطئين

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى **ضرورة رعاية المشاعر مع المخطئين ، فالإنسان ليس معصوما من الخطأ، أو الوقوع في الزلل، ويبدو هذا واضحا في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[١] قال النووي وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافا أو عنادا [٢]**

وفي التعامل مع المخطئين وعدم مواجهتهم مباشرة فلا يذكر أسماءهم وإنما يقول ما بال أقوام وجاءت عدة حوادث منها:

عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٣]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٤]

---

(١) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد حديث رقم ٢٢٠

(٢) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٩١

(٣) صحيح مسلم كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة حديث رقم ٥٣٧

(٤)صحيح البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح حديث رقم ٥٠٦٣

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[١]

وعن النعمان بن بشير، يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوما فقام، حتى كاد يكبر فرأى رجلا باديا صدره من الصف، فقال: «عباد الله لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم»[٢]

وهذا المنهج سار عليه الائمة الأفاضل وصلى أحمد يوما خلف رجل، فكان إذا سجد جمع ثوبه بيديه، فلما فرغ قال أحمد لرجل إلى جانبه – وخفض صوته – قال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يكف شعرا ولا ثوبا)) ، ففطن الإمام بذلك، وعلم أنه أراده، ورأى الفضيل بن عياض رجلا يفقع أصابعه في صلاته فزبره وانتهره فقال له الرجل: يا هذا، ينبغي لمن يقوم لله عز وجل أن يكون ذليلا، فبكى الفضيل، وقال له: صدقت[٣].

وتأتي رعاية المشاعر في التعامل مع المخطئين أكثر وضوحا في موقف حاطب ب أبي بلتعة قبل فتح مكة، وكيف عامله البي صلى الله عليه وسلم برفق ولين رغم تعريضه جيش المسلمي لأطار محدقة كانت من الممك أن تعصف بهم، عن علي رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم»،

---

(١)صحيح البخاري كتاب الأدب باب من لم يواه الناس بالعتاب حديث رقم ٧٣٠١

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف حديث رقم ٤٣٦

(٣) ابن رجب الحنبلي : فتح الباري شرح صحيح الباري ٣/ ١٤٧

قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: " إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "[1]

(١)صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الجاسوس حديث رقم ٣٠٠٧

الخاتمة

بعد هذه الجوله التي وقفا فيها على جواب متعددة من عظمة الجانب الخلقي في الإسلام يجدر بنا الوقوف على أهم نتائج البحث وهي كما يلي:

١ – أمر الإسلام برعاية مشاعر الوالدين، وتطييب خواطرهم، وعدم إيذاء أحاسيسهم ولو بكلمة بسيطة، فضلا عن نهرهما وإغلاظ لقول لهما.

٢– حض الإسلام كلا من الزوجين على احترام مشاعر الأخر، وتطييب خاطره لتستمر حديقة الحب في الأسرة

٣ – شرع الإسلام العدل بين الأولاد؛ لمراعاة مشاعرهم، واستمرار الألفة بينهم.

٤– أن مراعاة مشاعر أولي الربي أمر واجب، وكذك ترضية خواطرهم ببذل المال والقول اللين الرقيق.

٥ – احترم الإسلام مشاعر الضعفاء وسن كل ما ما من شأنه أن ييب خواطرهم

٦ – الأداب التي جاء بها الشرع الأسلامي الحنيف ليست خاصة بالمسلمين، وإنما تتبع من خصائصه الإنسانية ولذا شملت الشر كلهم

٧ – للتشريع الإسلامي منهج عظيم في إرضاء الخصوم

٨ – في المزاح يجب رعاية المشاعر

٩ – أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى رعاية مشاعر المخطئين عند تصويب أخطائهم

وفي الختام نسأل الله أن يحسن أخلاقنا، ويصلح ذات بيننا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهم مراجع البحث

أولا:القرآن الكريم

ثانيا:كتب السنة

صحيح البخاري

صحيح مسلم
سنن أبي داوود
سنن الترمذي
مسند الإمام أحمد
صحيح ابن حبان
صحيح ابن خزيمة
المستدرك للحاكم
الطبراني : المعجم الكبير
سنن الدر قطني
ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر

ثالثا: كتب التفسير

ابن عاشور: التحرير والتوير
الإمام محمد عبده : الأعمال الكاملة

رابعا: كتب شروح الحديث النووي

ابن بطال: شرح صحيح البخاري
العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري
ابن رجب الحنبلي : فتح الباري شرح صحيح البخاري
النووي: شرح النووي على مسلم
البكري : دليل الفالحين شرح رياض الصالحين
المناوي: فيض القدير
الابي : معالم السنن
المباركفوري : مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

خامسا: مصادر عامه

ابن خلكان : وفيات الأعيان
ابن سعد: الطبقات الكبرى
ابن عساكر : تاريخ دمشق
ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين

ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين
الخرائطي مكارم الأخلاق
الحلبي: السيرة الحلبية
الغزالي : إحياء علوم الدين
الذهبي: سير أعلام النبلاء
د/رءوف شلبي : الدعوة الإسلامية في عهدها المدني
علي حيدر خواجه أمين أفندي درر الحكام في شرح مجلة الأحكام